

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ للاستغفار مكانةً في الدين عظيمة، وللمستغفرين عند الله أجوراً كريمة، وثمار الاستغفار ونتائج الحميدة في الدنيا والآخرة لا يحصيها إلا الله، ولهذا كثرت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المرسدة إلى الاستغفار، والحائنة عليه، والمبينة لفضله وعظيم أجره. يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾ [النمل: ١٠]، ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ ۝﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝﴾ [الأنفال: ٣٣]، ويقول تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمَدِّدْ ذِكْرًا مَوْلًى وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ لَكَرَجَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا ۝﴾ [هود: ٥٢]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي دالة على عظيم شأن الاستغفار وتنوع فوائده وثمراته.

جاء في الأثر عن الحسن البصري رحمه الله: «أَنَّ رجلاً شكى إليه الجذب، فقال: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وشكى إليه آخر الفقر، فقال: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وشكى إليه آخر جفاف بستانه، فقال: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وشكى إليه آخر عدم الولد، فقال: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، ثُمَّ تلا عليهم قول الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمَدِّدْ ذِكْرًا مَوْلًى وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ لَكَرَجَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا ۝﴾

﴿١٣﴾﴾^(١)، «أي إذا تبتُّم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كَثُرَ الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرَّ لكم الضَّرْعَ، وأمدَّكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنَّات فيها أنواع الثمار، وخلَّلها بالأنهار الجارية بينها»^(٢)، وفي هذا دلالة على عظم فوائد الاستغفار وكثرة خيراته وتعدُّد ثمراته. وهذه الثمرات المذكورة هنا هي ممَّا يناله العبد في دنياه من الخيرات العظيمة والعطايا الكريمة والثمرات المتنوعة، وأمَّا ما يناله المستغفرون يوم القيامة من الثواب الجزيل والأجر العظيم والرحمة والمغفرة والعِتق من النار والسلامة من العذاب، فأمر لا يُحصيه إلا الله تعالى.

روى ابن ماجه في سُنَنِه عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لِمَنْ وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»، وسنده صحيح^(٣).

وروى الطبراني في «الأوسط» والضياء المقدسي في [الأحاديث المختارة] عن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار»^(٤).

(١): ذكره الله، الحافظ في: «الفتح» (٩٨/١١).

(٢): تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٦٠/٨).

(٣): سنن ابن ماجه (رقم: ٣٨١٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (رقم: ٣٩٣٠).

(٤): الأوسط (رقم: ٨٣٩)، والأحاديث المختارة (رقم: ٨٩٢)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (رقم: ٢٢٩٩).

وروى أبو داود والترمذي وغيرهما عن بلال بن يسار بن زيد، عن أبيه، عن جدّه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَمَ مِنَ الزَّحْفِ»^(٥).

وفي هذا الحديث دلالة على أَنَّ الاستغفارَ يَمْحُو الذُّنُوبَ سواء كانت كبائر أو صغائر، فإنَّ الفَرَارَ مِنَ الزَّحْفِ مِنَ الْكِبَائِرِ.

لكن ممَّا ينبغي أن يُعْلَمَ هنا أَنَّ المراد بالاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار، فهو حينئذ يُعَدُّ توبةً نصوحاً تُجِبُّ ما قبلها، أما إن قال المرءُ بلسانه: أسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وهو غير مقلع عن ذنب، فهو داعٍ لله بالمغفرة، كما يقول: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وهذا طلبٌ من الله المغفرة ودعاءً بها، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء لله، ويُرجى له الإجابة.

وقد ذكر أهل العلم أَنَّ القائل: أسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأتوب إليه له حالتان: **الأولى:** أن يقول ذلك وهو مصرٌّ بقلبه على الذنب، فهذا كاذبٌ في قوله: وأتوب إليه؛ لأنَّه غير تائب، فإنَّ التوبة لا تكون مع الإصرار من العبد على الذنب.

والحالة الثانية: أن يقول ذلك وهو مقلعٌ بقلبه وعزمه ونِيَّتُهُ عن المعصية، وجمهور أهل العلم على جواز قول التائب: أتوب إلى الله، وعلى جواز أن يعاهد العبدُ ربَّه على أن لا يعود إلى المعصية

(٥): سنن أبي داود (رقم: ١٥١٧)، وسنن الترمذي (رقم: ٣٥٧٧).

مكانة الاستغفار و حال المسنفرين

وتنوعت، فإنَّ باب التوبة والمغفرة والرحمة واسع، فالله يقول:

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٢﴾ [البقرة: ٥٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «مَنْ آيَسَ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ التَّوْبَةِ بَعْدَ هَذَا فَقَدْ جَحَدَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (٧).

ويقول سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: ١٠٤]،

ويقول: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا

١١﴾ [البقرة: ١١]، وقال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرِكِ

الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥]، [البقرة: ١٤٥-١٤٦]،

وقال في شأن النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ثُمَّ

وَمِنْ إِلَهِهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُوا لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٣١﴾ [البقرة: ١٣١]، وقال في شأن الكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

رَحِيمٌ ٧٦﴾ [البقرة: ٧٦]، وقال في شأن الكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البقرة: ١٠٠].

قال الحسن البصري رحمته الله: «انظروا هذا الكرم والجود، قتلوا

أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة» (٨).

فما أعظم فضل الله وما أوسع عطاءه ومغفرته، فنسأله سبحانه

أن يشملنا بعفوه وأن يمنَّ علينا بمغفرته إنَّه هو الغفور الرحيم.

www.al-badr.net

(٧): ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٩/٤).

(٨): انظر: تفسير ابن كثير (٥٨/٤).

أبدًا، فإنَّ العزم على ذلك واجبٌ عليه، فهو مخيرٌ بما عزم عليه في

الحال، وقد تقدَّم أنَّ من شروط قبول التوبة العزم من العبد على

عدم العودة إلى الذنب، فإن صحَّ منه العزم على ذلك قبلت توبته،

فإن عاد إلى الذنب مرَّة ثانية احتاج إلى توبة أخرى ليغفر له ذنبه،

ولهذا فإنَّ العبد ما دام كذلك كلَّما أذنب تاب وكلَّما أخطأ استغفر

فهو حريٌّ بالمغفرة وإن تكرر الذنب والتوبة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما

يحكي عن ربِّه ﷻ: قال: «أُذنب عبدٌ ذنبًا، فقال: اللَّهُمَّ اغفر

لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبيدي ذنبًا فعلم أنَّ له ربًّا

يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر

لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبيدي أذنب ذنبًا فعلم أنَّ له ربًّا

يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر

لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبيدي ذنبًا فعلم أنَّ

له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرتُ

لك» (٦). أي: ما دمت تائبًا أوهاً منيًّا.

فهذه توبة مقبولة وإن تكرر الذنب، فإنَّه كلَّما كرَّر العبدُ التوبة

مستوفياً شروطها قبلت منه، أما الاستغفار بدون توبة فلا يستلزم

المغفرة، بل هو سببٌ من الأسباب التي ترجى بها المغفرة.

ولا ينبغي للعبد أن يقنط من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت

(٦): صحيح البخاري (رقم: ٧٥٠٧)، وصحيح مسلم (رقم: ٢٧٥٨).

شارك في الدعوة إلى الله بنشر هذه المطوية لتكون لك حصة جارية

دار المجتهد

إعداد
عبد الباقى بن محمد الجحش البدر